جثالقة المشرق ومفارنة السريان

بقلم حضرة القس اسحق ارملة السرياني (تابع)

٤ ـ مفارنة السريان من السنة ٩١٤ الى السنة ١٢٥٨

٥٤ ﴿دنحا الثالث﴾ صارت اليهِ المفريانيَّة بعد سنتين لفراغ الكرسي ورسمهُ البطريرك يوحنا السادس في تشرين الاوَّل ٩١٤ واخترمتهُ المنيَّة في تكريت في ١٨ تموز ٩٣٤ ورسم سبعة عشر اسقفاً.

٥٥ ﴿باسيل الثالث﴾ كان شمَّاساً في كنيسة نصيبين وافضت اليهِ المفريانيَّة في سلخ تشرين الثاني ٩٣٦ ويوم السبت ١١ آب ٩٦٠ انتقل الى جوار ربِّهِ ورسم اثني عشر اسقفاً ولُحد في قبر سالفهِ

٥٦ ﴿قرياقس﴾ هو القسّ حوران النصيبينيّ رسمه البطريرك ابراهيم الاوَّل (٩٦٢—٩٦٣) مفريانًا في منسلخ آب ٩٦٢ وسناه قرياقس. وأدركتهُ الوفاة في تكريت في ٢٧ شباط ٩٧٩ ورسم اربعة عشر اسقفاً

٥٧ ﴿يوحنا الثالث﴾ وُلد في تكريت ثم رحل مع والديهِ الى دمشق الشام واستوطنوها. وفي ٧ آب ٩٨١ استدعاه الى مرعش البطريرك يوحنا التاسع (٩٦٥—٩٨٦) ونصبه مفريانًا لتكريت. فساس ابرشيَّته بهدوٍ وسكينة وأدركهُ الأَجل في بغداد في ١٨ نيسان ٩٨٨ ونُقل وفاتهُ الى كنيسة آحودامه بتكريت

٥٨ ﴿اغناطيوس﴾ هو المعروف بابن قيقي وُلد في الموصل وتولَّى خدمة كنيسة التكريتيين في وطنه ورقَّاه الى المفريانيَّة البطريرك اثناسيوس الخامس (٩٨٧—١٠٠٣) في دير البارد في ١٩ شباط ٩٩١. وسنة ٣٩٢ للهجرة ١٠٠١ مسيحيَّة ثاني الاسبوع الثاني من الصوم الاربعيني أحرق الاسلام كنيسة السريان ببغداد. ذلك ان رجلاً حنبليًّا حاول اختلاس ارض ملاصقة للكنيسة فعارضهُ باسيل البزَّاز ابن طاهر السرياني فحنق الحنبليّ وأثار المسلمين فكبسوا الكنيسة ونهبوها واحرقوا ما فيها ثم انقلبوا الى دير الراهبات السريانيَّات ونهبوه ونهبوا كنيستين ايضاً للفاطرة.

وعام ١٠٠٣ انحدر المفريان الى بغداد ليرمّم الكنيسة المحترقة فاستقبله النصارى والمسلمون استقبالاً حافلاً أوعز صدر ايوّنيس جاثليق النساطرة فقصد الخليفة القائم بامر الله (٩٩١–١٠٣١) وادّعى ان المفريان منتمٍ الى بطاركة السريان المتوطنين في بلاد الروم اعداء المسلمين. فاستُدعي المفريان الى المحاكمة وأفتى كلّ من الفقهاء فتوى مختلفة اسفرت عن تقرير الخليفة بأنه ليس لسوى جاثليق النساطرة ان يركز في بغداد وانّ للمفريان ان يتقلّد رعيّته البغداديّة تارةً فأخرى فعاد المفريان الى تكريت وواصلَ رعاية ابرشيّته خمساً وعشرين سنة ورسم اربعة عشر اسقفاً. وبعد هذا هبط من سموّ مرتبته فنقض نذوره ونكث عهوده وارتكب القبيح. فنصح لهُ وجهاء تكريت فلم ينتصح بل تمادى في الفجور وانحدر الى بغداد وأسلم سنة ١٠١٦ وما كاد يتمتّع بكفره وشهوته حتى طفق يجوب الشوارع ويكدّي وينتحب على ما فرط. وصنّف ميمراً مؤثراً فيه رثى حاله وارتجله بقوله: «سكّوها وكّوها حكّم صُكّوها حرّسكّوها» اعني: «احتال ابليس بدهائه فصنع عرساً للاثم» واروى في آخر حياته وكفّر عن خطيئته

وكان في ذلك العهد في بغداد عيسى بن زرعة بن اسحق بن مرقس الفيلسوف اليعقوبيّ صنّف خمسة كتب ونقل من السريانيّ الى العربيّ ستة كتب في الفصاحة والطبّ. وكان مولده في بغداد سنة ٩٤٢ ووفاته سنة ١٠٠٧

وعاصره عليّ بن عيسى (ويقال عيسى بن عليّ) الطبيب الذي هجر النسطوريّة واعتنق الملكيّة وألّف كتاب «تذكرة الكحّالين» في مداواة العين. وابو عليّ حسن بن سهل النسطوريّ صاحب الشروح البيعيّة والمنطقيّة. وابو الفرج القس عبدالله ابن الطيّب البغداديّ النسطوري († ١٠٤٣)

وفي تلك الفضون تنصّر على مذهب النساطرة ملك الترك بساعي عبد يشوع اسقف مرو النسطوريّ وآمن معه زهاء مائتي الف نسمة (المشرق ١٦[١٩١٣] ٧٦٢)

٥٩ ﴿ اثناسيوس الثاني ﴾ هو عبد المسيح الملطيّ ترهّب في دير بارماها واصطفاه اساقفة المشرق للمفريانيّة ومضى به اثنان منهم الى البطريرك يوحنا ابن عبدون (١٠٠١–١٠٣٠) فرسمه قسّاً مفريانياً سنة ١٠٢٨ وسمّاه اثناسيوس. ولمّا توفّي البطريركيّة ديونوسيوس السابع المعروف ببيحي (١٠٣٢–١٠٤٢) جرد عليه

المفريان اثناسيوس لانهُ نُصب من دون مراجعته وحاول ان يرسم بطريركاً ثانياً . غير ان البطريرك استدرك الامر وقصد المفريان متنكّرًا وجعل يخدمه فأحبَّهُ المفريان وعوّل على رسامته شمّاساً فتماً فتمنّع . وبعد تسعة شهور بلّغهُ انه مزمع ان يرسمهُ اسقفاً لباعربايا فاعتذر . فالحّ المفريان فاستعفى البطريرك المتنكر . وما تمالك ان كاشفه بدخيلة امرهِ قائلًا لهُ : « اني انا هو يحيى تلميذكم الخاطئ الذي نصبه اساقفة المغرب بطريركاً لانطاكية من دون مراجعتكم وقد قصدتكم لتصلّوا عليَّ وهاءنذا عامل بما تأمرون» . فانذهل المفريان اي انذهال وأفاض بالبكاء وخرَّ على قدميهِ وجعل يقبّل يمينه مستغفرًا . وبعد هذا شيّعه الى دير قرتمين حيث اضطرّ يوحنا مطران طور عبدين ايضاً ان يتّفق معه ثم عاد الى تكريت واستأنف البطريرك مسيره الى آمد . وانتقل المفريان اثناسيوس الى جوار ربّهِ سنة ١٠٤١ ورسم تسعة اساقفة

٦٠ ﴿ باسيل الرابع ﴾ بعد وفاة المفريان اثناسيوس توفّي البطريرك ايضاً . فاجتمع اساقفة المشرق ونصبوا باسيل بن قبّاد التكريتيّ مفريانًا سنة ١٠٤٢ فشقّ ذلك على الاساقفة الغربيّين والتأموا وحدهم ونصبوا يوحنا الحادي عشر بطريركاً (١٠٤٢—١٠٥٧) فتجدّدت من ثمّ الاحقاد واشتدّت البغضاء بين الفريقين . غير ان البطريرك توصّل الى اصلاح ذات البين بينهما برسائلهِ الحلوة . ولمّا عوّل المفريان على زيارتهِ ووصل الى الجزيرة بادر البطريرك الى ملاقاتهِ واتّفقا اتّفاقاً تامًّا مع الاساقفة ورقموا ثلاثة صكوك مآلها ان لا يُنصب في المستقبل بطريرك الّا بحضور المفريان وبالعكس . وحُفظ احد الصكوك في تكريت وثانيها في دير قرتمين وثالثها في الجزيرة . ثم عاد البطريرك الى آمد والمفريان الى الموصل حيث ادركتهُ المنيّة عام ١٠٦٩ .

٦١ ﴿ يوحنا صليبا الاوّل ﴾ (١ وبعد ستّ سنوات لوفاة باسيل المفريان وقع الانتخاب على صليبا الباسبريني فرسمهُ مفريانًا عام ١٠٧٥ البطريرك باسيل الثاني (١٠٧٤—١٠٧٥) وسناه يوحنا واضاف نصيبين وقلّث ودارا الى الابرشيّات المفريانيّة وأيّد القانون الذي سنّه سالفه في وجوب حضور المفريان رسامة البطريرك . ثم توجّه

١) يظهر ان المفارنة أخذوا منذ ذاك يضيفون الى اسمهم الاصلي اسماً ثانياً كما جرت العادة عند السريان الى يومنا . وهذا يوحنا هو اوّل من أطلق عليهِ ميخائيل الكبير اسم مفريان هكذا « معمع مصهفهكها معمعنا له حنمه »

البطريرك الى حاح وعاد المفريان الى الموصل وشخص الى دير مار متى ورسم لهُ مطراناً سمّاه طيمثاوس ثم انحدر الى تكريت ودخلها بكبكبة وحفاوة أثارت المسلمين فضجّوا وعجّوا ورجموا المفريان فانهزم الى كنيسة آحودامه وما لبث ان توجّه الى بغداد . ولمّا عاد الى كرسيّه استبدّ بأوقاف الكنيسة وطفق يُرمِّم الولائم لوجهاء المسلمين ليفوز برضاهم ولكنّهم أبوا الّا الاسترسال في معاداة النصارى ومعاكستهم وأفضى بهم الحقد الى ان قوّضوا كنيسة مار سرجيس وباخس

وظلّ المفريان يوحنا راسخاً في عهوده ومودّته للبطريركين ديونوسيوس السادس واثناسيوس السابع ورافقهما في رحلتيهما . وسنة ١٠٨٩ استحلّ المسلمون كنيسة تكريت الكبرى وملكوها فذهبت نفقات المفريان على مشايخ المسلمين أدراج الرياح . وتضعضعت منذ ذاك احوال السريان بتكريت وتفرّقوا في أطراف البلاد ليفوزوا بالنجاة من الغدر والظلم . واضطرّ المفريان ايضاً ان يغادر كرسيّهُ الى الموصل فسكن في كنيسة مار زينا سبع عشرة سنة حتى اخترمته المنية يوم الجمعة ٢ آذار ١١٠٦ وخدم احدى وثلاثين سنة

٦٢ ﴿ديونوسيوس موسى﴾ ظلّ كرسيّ تكريت فارغاً مدّة سبع سنوات لان وجهاءها لجأوا الى الفرار على اثر الحوادث المشؤومة ضنّاً بحياتهم . وفي ١٥ آب ١١١٢ استدعى البطريرك اثناسيوس السابع (١٠٩١—١١٢٩) راهباً من احد ديورة مرعش يُقال لهُ ديونوسيوس ونصبهُ مفريانا وسمّاه موسى . فكتب صورة ايمانه ودفعها الى البطريرك فأعزّه جدّاً وأهدى اليهِ حلّة حبريّة وعكّازاً وبغلين وسيّره الى المشرق . بيد ان طيمثاوس سوغدي مطران دير مار متى عاندهُ وعاكسه لانه لم يكن تكريتيّاً وألغى عادةً جرى اهل القرى بموجبها منذ زمن طويل وهي ان كل قرية كانت تهدي الى المفريان بغلاً حين زيارتهِ اياها . ولمّا قصد المفريان ذلك الدير ابرسم استفاً لبلدة بيت نوهدرا ونادى باسمهِ استف الجزيرة وقت الرسامة طبقاً للقوانين أرغى الرهبان وأزبدوا وانقضّوا على المفريان وهو في المذبح يحاولون الفتك به وهدّدوا بالقتل ليصمت فتخوّف المفريان وانهزم حالاً الى تكريت فاستقبلهُ اميرها مجاهد وكان ارمنيّ النحلة وأكرمه واستصحبه الى بغداد واستحصل لهُ فرماناً عاد به الى ابرشيّته وطفق يرمّم الكنائس ويُصلح ما تهدّم وارسل في طلب النصارى الفارّين فعادوا الى وطنهم

وفتح المدارس لتلقينهم وارتقت الابرشيَّة في عهده في مراقي النجاح والتوفيق

وارتحل المفريان الى قلعة تلباشر بطلب اميرها الفرنسوي جوسلين لحضور حفلة رسامة يوحنا الخامس عشر بطريركاً فرسمه المفريان في كنيسة الافرنج الكبرى بحضور جوسلين وارباب دولته في ١٧ شباط ١١٢٩ ثم قفل راجعاً الى ابرشيَّته

غير ان الرهبان الماتيين أبوا الَّا التصلّب في رأيهم والمجاهرة بعصيانهم على المفريان وراقعوه الى الوالي وسلقوه بألسنة حدادٍ وخسروه مائة وخمسين ليرة دفعها سريان قرية خوديده القرقوشيُّون بطيبة خاطر اذ كانوا يعزّون المفريان ويحبونه جدًّا. وبعد ذلك تعهَّد المفريان ابرشيَّته وحجّ الى اورشليم ثم قفل راجعاً الى الموصل. فناصبهُ ابن قوتلا رئيس الدير وادَّعى ان له على المفريان بغلًا دَيَةً. فارسل الحاكم واختلس البغل وألقى المناداة باسم المفريان واستترف منه اربعين ليرة واضطرّه ان يرسم ابن قوتلا مطراناً للدير فرسمه قسراً عنه. فاستبدَّ ابن قوتلا بالرئاسة وكرّس المبرون خلافاً للاصول ولم يفتر من إزعاج المفريان حتى اذا كان ذات ليلة يشرب على سطح كنيسة برطلّي هو ومعلّم المدرسة سكر المعلّم وتهوّر ومات وما لبث ان مات ابن قوتلا ايضاً بعده بقليل محروماً

وعام ١١٤٢ انحدر المفريان ثانية الى بغداد فأكرمه عبد يشوع جاثليق النساطرة وأتحفه ببدلةٍ ومصنفةٍ وعكّاز كمألوف العادة ثم رحل الى موصل وفيها ادركته المنيَّة في ١٧ حزيران ١١٤٢ ونُقلت عظامه الى تكريت. ورسم بطريركين وتسعة اساقفة

وكان في أيّامه القسّ كيرون الرهاويّ الذي اعتكف في دير مار بهنام بعد ان اقام زمناً في سراغة ونسخ كتباً شتى

٦٣ ﴿ اغناطيوس لازر ﴾ اصطفاه البطريرك ماثناسيوس الثامن (١١٣٩—١١٦٦) واستحضره من دير سرجيس بجوباس ورسمه مفريانًا في دير مار اهرون سنة ١١٤٣ وأوفده الى الموصل فرحّب به السريان ثم نزل الى تكريت فبغداد فخلع عليه عبد يشوع الجاثليق بدلة ومصنفة وعكّازًا ثم سار الى موصل وتعهّد كنيسة مار توما ثم عاد الى تكريت. ورام سنة ١١٥٢ ان ينقل كرسيَّهُ الى الموصل فلم يرضَ البطريرك. وسنة ١١٥٣ توجّه المفريان الى ماردين وحضر مجمعاً عقده يوحنا مطرانها (+ ١١٦٦) فأطلعه المفريان على رأيه في ان يستوطن الموصل بدلًا من تكريت فحبَّذ المطران

يوحنا فكرته وسأل تمرطاش صاحب ماردين(١١٢٢—١١٥٣) فكتب الى صاحب الموصل ان يحتفي بالمفريان ويقلده ازمّة الامور الكنسيّة في الموصل فاجاب الحاكم الى طلبه وتهدّد بالقتل كلّ من لا يقبلهُ

لكنّ الرهبان المتيّين تعصّبوا على المفريان وجمحوا في العصيان حتى انهم حرّجوا عليهِ الدخول الى ديرهم وتخاصموا على الباب زهاء ساعتين واخذوا بغله ومقدارًا من الدراهم وأدخلوه واحتفلوا بطقس الجلوس على الكرسيّ . وبعد ذلك تفقّد المفريان قرية قرقوش وبرطلّي وبيت دانيال وجرت العادة منذ إذٍ ان يزور المفريان اوّلًا الدير ثم قرية بيت دانيال فقرقوش فبرطلي . وشاد في برطلّي كنيسة كبرى ورمّم كنيسة مار توما ببغداد

وعام ١١٥٩ حاول القس ابرهيم السرياني ان يطلّق امرأتهُ العجوز ويقترن بغيرها فحرمه المفريان فأضمر لهُ الشرّ . واتفق اذ ذاك ان نصرانيًا من تلّ عفر أسلم ولبثت ابنته راسخة في دينها فاستفتوا المفريان في أمرها فأفتى بوجوب بقائها في ديانة اجدادها فقصد القس ابرهيم كتبة المسلمين وبأنهم الامر فحنقوا على المفريان وسجنوه اربعين يوماً ثمّ أطلقوه برشوة . امّا الصبيّة فانهزمت الى اورشليم وترهّبت . ومات القس ابرهيم اشنع ميتة . وقد صنّف البطريرك ميخائيل الكبير ميمرًا وابن الصليبيّ ميمرين في هذا الصدد

وعام ١١٦١ سيّر حاكم الموصل المفريانَ في استفتين الى جورجي ملك الكرج في اطلاق الأسرى المسلمين . فاحتفى بهم الملك بمجالي السرور والاستحسان وانجز مرغوبهم ودفع اليهم الاسرى . وكان المفريان والاسقفان يقيمون الحفلات الدينيّة في كنائس الكرج . ولمّا عادوا الى الموصل أحسّ المفريان بدنوّ الاجل فرام الذهاب الى ملطية وطنهِ ولكنّ المنيّة عاجلته في الطريق ما بين الخل وقرتمين يوم الخميس ١٤ حزيران ١١٦٤ فنقله تلاميذه الى دير الزعفران ودفنوه

٦٤ ﴿يوحنا الرابع﴾ وُلد في سروج ثم ترأس على دير مار يعقوب بالرها . وعلى جزيل فضله وتقواه كان صفرًا من الكتابة . ويوم الجمعة ٦ تشرين الثاني ١١٦٥ قلّدهُ المفريانيّة البطريرك اثناسيوس الثامن وأوفده الى الموصل . ولمّا حضر عام ١١٦٧ رسامة ميخائيل الكبير بطريركاً حرّج عليهِ اساقفة المغرب ان يضع يده على البطريرك وقت

الرسامة محتجّين بأنه يجهل القراءة فاعترضهم طيمثاوس اسقف باعربايا وتغلّب عليهم فرسمه من ثمّ المفريان وقفل راجعاً الى الموصل . وعام ١١٧١ شنّ الغارة على دير مار متّى زهاء الف وخمسمائة كرديّ ونهبوه وقتلوا خمسة عشر راهباً من جملتهم الراهب متى والحبيس دخا فلاذ الرهبان بالفرار الى الجبل . ولما انكشف الاكراد عن الدير عاد الرهبان فجمعوا الكتب ونقلوها الى الموصل . أمّا الاكراد فواصلوا الهجوم على القرى المجاورة وسبوا النساء والفتيات والفتيان وقتلوا الرجال وأحرقوا الدور . وعام ١١٧٢ استحلّ المسلمون دير السريان بالجزيرة واعتقلوا مطرانهم فسارع وفدٌ منهم الى بغداد وتحاكموا الى الخليفة المستضيء بالله (١١٧٠—١١٨٠) واسترجعوا الدير وانقذوا المطران . وبعد سنتين توجّه المفريان الى دير الزعفران وحضر مجمعاً عقده ميخائيل الكبير وسنّ فيه اثني عشر قانوناً لدير مار متى وأيّد القوانين السالفة وعددها اربعة وعشرون . وسنة ١١٧٨ سار نخبة من جماعة حمص الى البطريرك وسألوه ان يرسم لهم مطراناً فاستاء المفريان وحرمهم واخيراً عقد البطريرك مجمعاً للنظر في مسئلتهم أسفر عن اتفاقهم مع المفريان . وعام ١١٨٨ استقال المفريان وقصد ديره بالرها معتزلاً ثم عاد الى الموصل . ولما كان ذات ليلة راقداً على سطح كنيسة قرقوش تهوّر ومات حالاً فنُقل الى دير مار متى في آب ١١٨٩ وخدم اربعاً وعشرين سنة

واشتهر اذ ذاك ابو الحليم ايليا الثالث بن الحديثي جاثليق النساطرة صاحب التراجيم البيعية العربية المشهورة التي استعملها السريان والنساطرة معاً في كنائسهم

٦٥ ﴿ غريغوريوس يعقوب الثاني ﴾ ولمّا توفّي المفريان يوحنا الرابع تسرّع ميخائيل الكبير فنصب ابن اخيه مفريانا في احد قانا الجليل ١١٨٩ وسماه غريغوريوس . فأجمع المواصلة على رفضه وبأنوا الحاكم ان يحرّج عليه الدخول الى البلد ما لم يرضخ له شيئاً من المال . فأقام المفريان في دير النساطرة المعروف بدير مار ميخائيل على باب الموصل وراسل محيي الدين صاحبها يعدهُ بالف ليرة رشوة ان أذن له بالدخول . فسخط المواصلة ووعدوه بالفي ليرة بنيّف وبادروا الى دير مار متى ونصبوا كريم بن ماسح مفريانا يوم سبت لعازر وسمّوه ديونوسيوس . فشقّ ذلك على غريغوريوس المفريان وارتحل الى تكريت وعيّد فيها عيد العنصرة وفاز برضى الاهلين . أمّا ابن ماسح فارسل مائة ليرة رشوة لصاحب تكريت مع رجل موصليّ طويل اللحية

والقامة مشترطاً عليه ان يطرد المفريان . فامتعض الاهالي منه وادّوا المبلغ. الحاكم ورجوا ذلك الرجل فاركن الى الفرار . وما لبث ان هجم عسكر الخليفة على تكريت وحصروها فغادرها النصارى وخرج المفريان الى سنجار وحلّ ضيفاً كريماً عند طبيب ماردينيّ كان ذا حظوة لدى الحاكم . ثم عاد الى سنجار فالخابور فنصيبين فدير الزعفران حيث اجتمع بابن ماسح المفريان الدخيل

وعام ١١٩٢ سأل الواصلة بجهدَ الدين خليفةَ محيي الدين ان يرسل في طلب المفريان فعاد الى الموصل وعقد مجمعاً من اساقفة المشرق وأحضر ابن ماسح الى كنيسة التكريتيّين ونزع عنه الثوب الكهنوتيّ . ولبث كذلك ثلاثة اعوام ثم استغاث بالحاكم ووعده بمالٍ جزيل ولكنهُ اخلف وعده فأُلقي في السجن زهاء ستة اشهر فأعتقه المفريان غريغوريوس فتوجّه الى ميافرقين ولبث فيها حتى وفاته ليلة عيد الميلاد ١٢٠٤ فدفنه النساطرة . امّا المفريان غريغوريوس فقضى نحبه في قرية بسنجار في ١٢ تشرين الاوّل ١٢١٥ ونقل جثمانه الى دير مار متى . وهو الذي شاد في برطلي قلّاية كبيرة واقام فيها خمسة اعوام وكان خبيراً باصناف العلوم وألّف نافورًا اولهُ « ايها الرب الرهيب الجبّار » اجاز استعماله في كنائس المشرق عنهُ البطريرك ميخائيل الكبير

٦٦ ﴿اغناطيوس داود الثاني﴾ زاول التدرس في دير طفشيش ورقّاه الى المفريانيّة سنة ١٢١٥ البطريرك يوحنا السادس عشر (١٢١٥—١٢٢٠) فأجمعت قلوب ابناء ابرشيّته على احترامه وطاعته . ولمّا توجّه الى تكريت عام ١٢١٨ بادر السريان للاقائه وهم يترنّمون بالاناشيد السريانيّة والعربية فأرغى المسلمون وأزبدوا محتجّين بأن السريان غنّوا المفريانهم ذات الاغنية التي تغنّاها آل يثرب لمحمّد لمّا عاد اليهم من مكّة . ولمّا بلغ الخبر الخليفة الظاهر بالله (١١٨٠—١٢٢٥) أصدر الامر بنهب دور النصارى أجمع . غير ان المسلمين في تكريت اكتفوا باستتزاف عشرين الف ليرة منهم وحلقوا لحى ثلاثة من وجهائهم واعتقلوا المفريان وبعض الوجهاء ريثما يدفعون المبلغ . فتوسّط سريان الموصل لدى بدر الدين لؤلؤ صاحبها فأوفد وأطلقهم . وما وصل المفريان الى الموصل حتى عاكسه شمعون كبير برطلي ونقم عليه فانهزم الى الخابور فملطية . ثم ارتقى الى البطريركيّة عام ١٢٢٢ وهو اوّل مفريان صار بطريركاً . امّا شمعون المذكور فان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل قتلهُ مصلوباً في ايلول ١٢٢٠

٦٧ ﴿ديونوسيوس صليبا الثاني﴾ كان اسقفاً على الجزيرة وارتقى الى المفريانيَّة بيد سالفه اجابةً الى طلب الاهالي. ومكث ثماني سنوات في برطلي يخدم رعيَّته بالغيرة. ولمَّا ثار ثائر الاكراد في طور عبدين سنة ١٢٣١ خرج المفريان لمقاتلتهم فاخترط سيفاً وامتطى جواداً وسار في جماعة من النصارى ليزحزح الاكراد عن القرى غير انهُ أُصيب بسهم في قلبه فخرَّ قتيلاً من ساعته في ايلول ١٢٣١

٦٨ ﴿يوحنا اهرون ابن المعدني﴾ هو مطران ماردين المشهور بالحذق والذكاء. نودي به مفريانًا سنة ١٢٣٢ غير ان الاهالي رفضوه بتاتاً فانحدر الى بغداد سنة ١٢٣٧ ثم عاد الى ابرشيَّته وانزوى في قلَّايتهِ يزاول الدرس والتأليف. وصنَّف ميامر سريانيَّة وليتورجيَّة ورسائل عربيَّة مستبدعة. وفي ٢٣ آب ١٢٤٣ قصد بغداد تكرارًا فلم يحتفِ بهِ شمعون بن ستانه مطرانها. وبعد اللتيا والتي توجَّه المطران الى الحديثة وطنهِ. امَّا المفريان فوسم في بغداد الراهب يوسف الماردينيّ مطرانًا للجزيرة وسمَّاه غريغوريوس. واستكتب اذ ذاك المواصلةُ بدرَ الدين رسالة اوفدها مع ابن شمَّاع رئيس الدير يسألون المفريان ان يعود الى ابرشيَّتهِ فكتب اليهم الجواب معتذرًا بكونهِ ناذرًا الحجَّ الى اورشليم. فرحل اليها من ثمَّ وزار البطريرك داود في انطاكية ثم رجع الى الموصل. ولمَّا نُصب ديونوسيوس السابع المعروف بمنجور بطريركاً في ١٤ ايلول ١٢٥٢ ثقُل ذلك عليه جدًّا لانه لم يُدعَ الى حضور الرسامة فابتدر الى حلب وارتسم هو ايضاً بطريركاً في ٤ كانون الاوَّل ١٢٥٣ بوضع يد باسيل مطرانها

واعلم ان ابن العبري أهمل في تاريخهِ ذكر ما جرى بين الكرسيّ الرسوليّ الروماني وبين البطريرك داود والمفريان يوحنا ابن المعدنيّ من المراسلات والمكاتبات في مسئلة الاتحاد مع ان اغلب المؤرخين المعاصرين قد اوردوا ذلك مثل رينلد سنة ١٢٤٧ (عدد ٣٧و٣٨) كما جاء في الشرق المسيحي (جزء ٢ عمود ١٣٥٦ ع٢٩) على ان انوكنتيوس الرابع بابا رومية أوفد سنة ١٢٤٧ اندراوس لُنجمل الراهب الدومنكيّ حاملًا الى البطريرك والمفريان كتاباً يدعوهما به الى تجديد مواثيق الكثلكة فأرسل كلٌّ منهما صورة ايمانهِ الى الحبر الروماني ووصفاه بكونهِ صاحب كرسي بطرس زعيم الرسل الى ان قالا: « سألتمونا ان نتَّحد معكم. أجل اننا بهذا الاتحاد نتقرَّب الى الله» وبعد ان أمضى البطريرك تلك الصورة أمضاها المفريان ايضاً هكذا: « وانا

الحقير مفريان المشرق يوحنا بن معدني أقرّ ان هذا هو ايماني »

٦٩ ﴿ اغناطيوس صليبا الثالث ﴾ هو باسيل اسقف حاب حايف ابن المعدنيّ وخصم البطريرك عنجور نصبهُ ابن المعدنيّ عينهُ مفرياناً وأوفده الى الموصل في اسبوع اوشعنا ١٢٥٣ وكان طيّب المحادثة فصيحاً بالعربيّة والسريانيّة متضلّعاً من الطبّ والفلسفة يبيّ الطلعة رخيم الصوت . أحبّهُ الموصليُّون حبًّا شديدًا لكنّ الرهبان الماتيّين كعادتهم السيّئة حرّجوا عليهِ الدخول الى ديرهم مشترطين ان يقبّل عتبته ويؤدي لهم بغلًا ديةً . فوادعهم المفريان ودخل الى الكنيسة . ولمّا اخذوا يتلون رتبة الجلوس على الكرسيّ خرج ابن شمّاع رئيسهم حاردًا وهو يقول لن يجلس المفريان على الكرسيّ الّا بعد استحضار براءة من بدر الدين صاحب الموصل . فاستمرّ المفريان والرهبان داخل الكنيسة صامتين الى نصف الليل فعاد الرئيس واستأنفوا الرتبة . غير انه لما وصل المفريان الى ترتيل الجيل الراعي الصالح (يوحنا ١٠) وقال « من لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف فهو لصّ » أخرج احد الرهبان رأسه من النافذة وقاطعه قائلًا : « كما انك انت ايضاً لم تدخل من الباب بل تسلّقت كاللصّ من جهةٍ اخرى » . فامتعض المفريان ايّ امتعاض وغادر الدير في تلك الليلة عينها وأخذ يطوف القرى ويجمع الاموال لصاحب الموصل فأسنى له القرقوشيُّون العطاء اكثر من سواهم فشكر لهم وأثنى على اريحيّتهم وقال لهم : « والهفي عليكم فانكم انتم تخسرون وانا لا انتفع . لان كلّ ما تبذلونهُ يُحمَل الى خزينة السلطان » وتنادى خصوم المفريان في عنادهم وعدوانهم حتى ان احدهم اعني ابا العزّ دقيق الطبيب السرياني سعى بهِ لدى الوالي وأهانهُ . فاشمأزّ المفريان من عيشته الضنكة وما مرّت عليهِ السنة والنصف سنة حتى هجر ابرشيّته وعاد الى حلب . وكان ابن العبري يومئذٍ مطرانها فلم يدعهُ يقيم في الكنيسة فاستأجر دارًا ثوى بها زماناً ثم قصد صاحب دمشق واستحصل فرماناً عاد بهِ الى حلب واستحوذ على الكنيسة . وحلّت منيّته في طرابلس يوم الاربعاء ١٢ حزيران ١٢٥٨ وشيّعهُ الرهبان والقسوس الفرنج وقسوس السريان ودفنوه في كنيسة مار بهنام

واورد ابن العبري في تاريخهِ المدنيّ السرياني (ص٥٠٦ و ٥٠٧) ان هولاكو بعد ما قوض دولة الخلفاء العباسيّين اوفد جنوده الى تكريت سنة ١٢٥٨ فقتلوا وجهاء

المسلمين ونهبوا اموالهم اما النصارى فسارعوا الى كنيسة احوديامه الخضراء ولبثوا فيها منذ اوّل الصوم حتى احد الشعانين ١٧ آذار من السنة المذكورة. فحنق عليهم ابن دوري المسلم ووشى بهم على بناء انهم اخفوا اموالاً طائلة وراقبهم الى المحكمة. ولمّا احضروا الاموال اصدر هولاكو الاوامر بقتلهم طبقاً لشريعة التتر. فاستاقوهم عشرين عشرين الى القلعة وقتلوهم قاطبة ولم يَذَروا الّا الشيوخ وقسّيسين فقط. وظلّ الكرسيّ المغريانيّ فارغاً مدّة ستة اعوام.

(لها بقية)

سرّ القربان في الكنائس الشرقيّة

نظر تاريخي لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

لعقيدة سرّ القربان الاقدس مقام رفيع بين العقائد التي ورثتها الكنيسة الكاثوليكيّة من معلّمها الالهيّ ورسله الكرام فبلغت اليها بالوحي في الانجيل الطاهر وبالتقليد المتواتر

ومن مفاخر الكنائس الشرقيّة التي امتازت بها منذ اوائل النصرانيّة تمسّكها الدائم بهذا المعتقد اذ لم يَقُم بينها احد من المبتدعين ينكر هذا السرّ كما حصل في بعض جهات الغرب وذلك في القرن الحادي عشر ببدعة برنجاريوس ثمّ في القرن السادس عشر بالبدع البروتستانيّة التي حرّمَ اصحابُها تبعَتَهم من اكبر نعم الله نحو البشر وحالوا بينهم وبين ذاك السرّ الذي بلغت فيه محبّة ابن الله الى أن يعطي جسدهُ الالهي ودمهُ الزكي للمؤمنين به ليمكنهم بذلك الى ان يشاركوهُ بطبيعتهِ الالهيّة كما قال القديس بطرس في رسالتهِ الثانية (١ : ٤)

وقد شعر الملك لويس الرابع عشر ما في اعتقاد الشرقيين عموماً من البرهان القاطع لتأييد هذه الحقيقة في وجه من يجحدها والبعض من طوائفهم منفصلة عن رومية منذ